الى الواحات الخارجة

جنـــة الصحراء الغربية

(وجزيرة الناعمين) فى عرف قدماء المصريين

للأستاذ محمد ثابت

تتمـــة

ولاتكادتفتح عين جديدة الارأيت آثار الرومان فيهافيجددون حفرها . والعين ملك لمن جد فى البحث عنها وقام بتطهيرها ، ويساهم كل فيها بنسبة مابذل من مجهود ومال، وعلى هذه النسبة يستنبت جزءا مما جاورها من الارض، والحكومة لاتتقاضى الضرائب على مساحة الارض المنزرعة فالناس أحرار يزرعون ما أرادوا منها ، لكن الضريبة تجبى على طاقة العين بغض النظر عما يزرع حولها . فأذا ما ظهرت عين جديدة تشكل لجنة حكومية ثم يسوى مكان عند منفذ العين توضع فى نهايته عارضة خشبية بعرض القناة فتعترض الماء الذى يطغى عليها ويتدفق فوقها ثم يقاس عمق هذا الماء فوقها

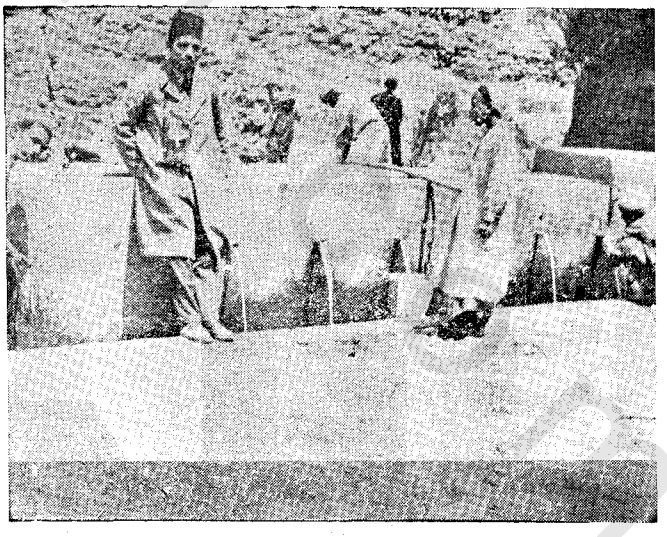

العين الجاريه يستقى منها الأهلون

وبحسب غزارته تقدر قوة العـــين قيراطا أو بعض قيراط . والضريبة نصف جنيه عن كل قيراط ، ومن العيون ما هو أقل من قيراط ومنها ما يبلغ عشرات القراريظ وفى ناحية باريز أكبر عيون الواحات وقوتها من ٥٨ الى ٦٠ قيراطا ، ويقال انها وحدها تستطيع رى مئات الفدادين ، لكن أصحابها لايستطيعون استغلالها كما يجب، لذلك تجمع من مائها الفائض مستنقع يمتد عشرات الكيلومترات كثر به البط والطير المائى ، ولذلك يقصده الكثير وبخاصة الموظفين للهو والصيد

وتقسيم ماء العين بين الشركاء عجيب أيضا ، فان كان الملاك ثلاثة قسموا القناة الخارجة من منفذ العين ثلاثة أقسام ، يجب أن تكون متلاصقة خيفة تبدد الماء بالرشح فيجرى نصيب كل مالك الى أرضه التى يشترط أن تكون مجاورة لارض باقى الشركاء ، وألا تزيد مترا واحدا عنهم ، ويجب أن يزرع الجميع نوعا واحدا من الغلات ، واذا لم يسعف ذاك التقسيم كل حقل قسموا الرى بالساعات ، ففلان يروى عدد من الساعات مناسبا لنصيبه، وبعد ذلك يجىء دور صاحبه، وهكذا واذا إقبل المساء واوقف الرى خيف على الماء الدافق من التبديد لذلك يرسل الماء الى مستودع فسيح يدخر فيه الى الصباح حين يروى الشركاء منه على النظام السالف الى أرضهم المنخفضة عن مستوى ذاك المستودع، والاراضى حول العيون مدرجة الانحدار كى يصبح الرى ممكنا ، وكثيرا ما كنت ارى المجارى المتقاطعه يسير فيها الماء بعضه فوق بعض مسافات طويلة كل يستمد من عين خاصة به

وكلما مضت السنون على العين ضعفت لكثرة مايتجمع حولها من رمال فيعاد تطهيرها ، وكثيرا ماتقارب العين النضوب او ينفد ماؤها ، والعادة انه كلما خرج نبع جديد أغاض ماء غيره أو انضبه

واهم الزراعات : الأرز عماد غذاء الاهلين وهو صغير الحب اسمر اللون لكنه ألذ طعما من رزنا ، وهو فى الطبخ ينتفخ فيزيد حجمه كثيرا، ولعل اكبر مميزاته محصوله الوفير فمتوسط غلة الفدان بين ٢٠ و ٣٠ أردبا ، وفى الارض الجيدة يغل أربعين ، على أنه يمكث فى الأرض سبعة شهور ، ولعل جودة ذاك المحصول العجيب راجعة الى كثرة الجهد الذى يعانيه القوم فى خدمته ، فزراعته تتطلب عناء عظيما من ذلك : بل البذور بالماء الساخن وبذرها ونقل النبت وهو

صغير من بؤرة فى الأرض الى غيرها وتلك العملية تتطلب المثابرة حتى يقارب النضج ، أضف الى ذلك استئصال الطفيليات ، وفى الشهر السابع يبدأ الحصاد وخلال كل أولئك ينشر الفلاح السماد على الارض أولا من روث البهائم ، وأخيرا من فضلات المراحيض، فتراهم جميعا يوالون رمى رماد (الفرن) فى مرحاض البيت كل يوم واذا ما انتهى العام جمع كل ذلك سمادا قويا يعاون على أنبات الأرز . وكلما حسنت الخدمة زاد طول السنبلة فحوت بين ٩٠ و ١١٠ حبة وضوعف المحصول وقد يبلغ الخمسين أردباً ولذلك يجرى على السنتهم جميعاً المثل القائل : (قل زرعك وأكرمه) . وبعد تمام رى الأرز ينصرف الماء الى المنخفضات لاستخدامه فى رى القمح وهو الغلة التى تزرع بعد الأرز فى الأرض الجيدة وحولها فى الأراضى الرديئة يزرع الشعير ومحصولهما دون محصول أرض الريف .

ولما كانت زراعة الأرز أساسية ومدته ، طويلة وهو يتطلب رياً مستديما كثرت لذلك النقائع أغلب العام ، فعاون ذلك على نشر البعوض وبخاصة فى أغسطس وهدد بالملاريا التى كثيراً ما تنتشر هناك ، ولذلك حاولت الحكومة منع زراعته والاستعاضة عنه بالأرز السبعينى لقصر مدته ، ولما جربه القوم أنكروه بتاتاً وذلك لقلة محصوله .

وكم أعجبت بنزعة القوم الى التعاون فى جل أعمالهم! ففى الزراعة مثلا لايلجأون الى إستئجار العمال خصوصا فى موسم الحصاد؛ بل ترى فريقا ينتقل بكامل عدده الى حقل الفريق الثانى وينجزون أعمال الحصاد متعاونين ، وهؤلاء يقومون بدورهم فى معاونة الفريق الأول إذا حل ميعاد العمل فى منطقتهم، وتلك طريقة إقتصادية تبعث على العمل بنشاط وسرعة لاتتوافر فى المأجورين ، والناس هناك هادئو الطباع معروفون بالأمانة حتى أن صاحب النزل كان يترك الفندق مفتوحا بغير حراس رغم وحشة الليل وبعد المكان عن المدينة لأنه واثق أن ليس بين الناس من يحاول السرقة

غذاؤهم ومشربهم : وعماد القوم فى الغذاء الأرز يأكلونه مسلوقا ويضع الفقير عليه الزيت والغى المسلى وأحيانا يدق الزيتون كله ثم ينخل ويخلط سائله الزيتى الاسمر بالأرز فيكسبه لونا أسود وطعما لذيذا ، وكثيرا مايطبخ الارز باللبن والملح . والارز أساس وجبة الافطار فى الصباح والعشاء مساء - وهذه أهم الوجبات لديهم - يطهى فى أوان كبيرة من الفخار أو النحاس . أما الخبز فلطعام الغذاء وهى أقل الوجبات أهمية يتناولونها فى الحقول خارج بيوتهم .

ومن أشهر الاشياء لديهم الشاى والسكر والطباق ، فهم يبتاعونها بالغلال عند بدء حصدها ، والتجار يختزنون تلك الغلال ليبيعوها للقوم ثانية اذا نضب معينها عندهم

ولقد أسرفوا فى تلك العادة حتى قيل أن الشاى أتلف كثيرا من صحتهم وما لهم لأنهم اذا شربوا عمدوا الى الماء المغلى فصبوه على الشاى الذى يشغل بين نصف القدر (الغلاية) وثلثيه لذلك يصبح منقوعه أسود غليظا ثقيلا ويتناوله حتى صغار الاطفال . وتتكرر تلك العملية فى مجلس الشاى ثلاث مرات، والناس يتناولون الشاى أربع مرات فى كل يوم : عقب الاكلات الثلاث مباشرة ، والمرة الرابعة عند الاصيل ، ولا يروقهم الشاى الخفيف قط ، لذلك ترى الواحد منهم يضع قطرة منه على ظفره ثم ينكسه فان سقطت نفر منه ولم يشربه فهو لايستملحه الا اذا حاكى العسل الاسود والعجيب أنهم يحلون ذلك بمقادير كبيرة من السكر . وأذكر انى أخذت صورة عجوز وناولتها قرشا فرجتنى أن اشترى لها به بعض الشاى والسكر

شارع : أعجب ما به الطنوف من سعف النخل

بدل النقود وأرسلت خلفى صبيها ليحمل ذلك اليها

وأجمل مناظر الواحة تتجلى فى بساتينها اليانعة تحيط بها أسوار وطيئة من الطين تحفها من اعلاها قحوف النخيل وتتخللها ابواب من الجريد صغيرة وبين تلك البساتين تمتد الطرق وتنساب قنوات الماء الدافق من العيون المجاورة ، وأعظم غلات البساتين البلح والمشمش وكذلك البرتقال وهو من احسن الانواع حجما وطعما

ومن أخطر ما يعانيه القوم طغيان الرمال على البيوت والبساتين والينابيع ، لذلك تراهم يحتالون لمقاومتها . فالعيون يقام حولها بناء اسطوانى ، أو فى زاوية مدببة حتى لا يتجمع الرمل خلفها ويطمرها. ويغلب أن يزرعوا خلفها صفا من الشجر وبرغم ذلك يغلبهم الرمل ، وكلما احاط بالشجر أو النخل استمر هذا فى نموه السريع وعلا حتى إذا ما بلغ نهاية نموه طمرته الرمال فاختفى وعندئذ يهاجر القوم الى ناحية أخرى ، وكثيراً ما حدث ذلك فى ناحية (جناح) من بلدانهم ، وقد يطغى الرمل على البيت فأن قارب نهاية علوه فتح صاحبه فى جداره بعض النوافذ فيتسرب الرمل الى داخل البيت ويسده ثم يبنى الرجل طابقا جديداً فوق الأول ليسكنه ، وقد يتكرر ذلك الى الطابق الخامس والسادس ، وقص على القوم أنه حدث مرة أن سيدة فى المكس من قرى باريز أنامت طفلتها داخل البيت ولما عادت وجدت الرمال قد تسربت من ثقب فوقها فطمرتها وماتت. وهناك بعض الكثبان الزاحفة على المدينة قاس الناس سرعة تقدمها فكانت متراً فى كل شهر

نبع ينساب ماؤه الى الحقول

ومن الحشرات المخيفة هناك العقارب ، فهى توجد بكثرة مروعة على أن ضررها قليل ويظهر أن سمها أخف من سم العقارب التى فى بلاد الصعيد ، وفى بعض القرى هناك كالمكس لاتكاد ترفع قطعة من الطوب الا وترى أسفلها قد افترش بالعقارب ، لذلك ترى الاهلين جميعا اذا اقبل الليل خرجوا الى كثبان الرمل العالية وأمضوا ليلتهم فيها ولا يجرؤ احدهم أن يدخل الدار طيلة الليل خشية لدغاتها

ومما هو جدير بالذكر وبالاغتباط ما شاهدته من عناية محافظ الواحات بصوالح الناس، فهو دائما يفكر فى خدمتهم وزيادة مواردهم ، وقد أنشأ قسما مستحدثا فى المدينة طرقه نظيفة مرصوفة تحفها الاشجار ، وقد افتتح الطريق الى اسوان لاول مرة ، عاون على فتح الطريق الى اسيوط فقطعته السيارة فى سبع ساعات وهناك طريق معبد الى الواحات الداخلة تقطعه السيارات فى ست ساعات ، وآخر يسير شمالا الى مرسى مطروح . والمحافظ جاد فى بناء مسجد فاخر فسيح الرحاب أحاطه بالمتنزهات

والمستمد العام لماء الشرب نبع احاطته الحكومة بالبناء تتخلله الانابيب والصنابير وذلك محافظة على نظافة الماء ان تلوثه الاوساخ وتعبث به الايدى، يملأ منه السقاءون قربهم والفتيات جرارهم وهى مستطيلة الشكل كى تحملها الفتيات تحت اذرعهن لافوق رءوسهن . والاوانى من اخص صناعتها ، وكذلك ضفر الأطباق والآنية من سعف النخيل يزينه نقش من الوبر والصوف الملون الجميل

ومجهود القسم الطبى هناك عظيم ، يقوم الطبيب بالعلاج ويصرف الدواء مجانا ويعالج المرضى فى مستشفى كبير زود باحدث الوسائل وهو فى ناحية من المدينة بولغ فى تجميلها وتنسيق حدائقها

ذلك بعض ماشاهدته فى الواحات الخارجة التى ستظل ماثلة أمامى اذكرها بالخير دائما. ولقد أسفت لانى لم أستطع زيارة الواحات الداخلة التى يقول عنها جيرانها بأنها أعم خيرا وأفسح مدى ، سكانها يناهزون ثمانية عشر الفا ، أعنى ضعف سكان الخارجة وانى لأرجو ان أوفق الى زيارتها فى يوم قريب .

محمد ثابت

محمود حلمى

صاحب المكتبة العصرية

متعهد بيع وتوزيع عموم المجلات والجرائد المصرية والسورية فى العراق